

جدلية الافتقار والامتلاك في رواية بنت المطر لمريم الغفل - دراسة موضوعاتية *Le manque et l'appartenance dans le roman « la fille de la pluie » par l'auteur « Mériam El Ghefli » Etude Thématique*

تاریخ الإرسال: 2018-10-17 تاریخ القبول: 2020-12-22

سامية يحياوي، جامعة 20 أكتوبر 1955 سكيكدة، samiayahiaoui1@hotmail.fr

الملخص

تعد الرواية النسائية الإماراتية تجربة إبداعية ثرية ، ومرأة عاكسة لقضايا المجتمع المختلفة ، ورواية "بنت المطر" للروائية "ميريم الغفلي" نموذجاً متميزاً نقل لنا صورة نمطية وهاجساً مأساوياً عن المرأة في المجتمع الخليجي ، تمثل في قضية الزواج المبكر وغير المتكافئ وما انجر عنه من تبعات وخيبات تحملتها البطلة الدرامية "لطيفة" عبر محورين رئيسين هما "الافتقار والامتلاك" ..
الكلمات المفاتيح: الرواية الإماراتية ، الرواية النسائية ، الامتنالك ، الافتقار ، البطل المأساوي.

Résumé

Le roman féminin émirati est considéré comme une expérience créative très riche, et un miroir qui reflète les différents cas sociaux. Nous considérons le roman « la fille de la pluie » de l'auteur « Mériam El Ghefli » comme un exemple très distingué. Il dégage une image typique et une obsession tragique de la femme dans la société du pays du Golfe, qui se concrétise par le mariage précoce et non équitable, avec tous ce qu'il engendre comme déception de l'héroïne tragique « Latifa » qui a subi parallèlement les deux notions : « du manque et de l'appartenance ».

Mots-clés: roman émirati, roman féminin, le manque, l'appartenance, héros tragique, Philosophie

Abstract

The Emirati feminist novel is a rich creative experience that reflects the different social issues. Meriem El Ghefli's novel The Rain's Daughter is a distinct model that conveyed a stereotypical and a dramatic picture about women in Gulf society by depicting the issue of early and unequal marriage and its consequences on the dramatic heroine, "Latifa", through two main axes, missing and possession.

Keywords: The Emirate's Novel, The Women Novel, Missing , possession, the dramatic heros

بضرورة التغيير الاجتماعي والتحرر من التقاليد الجامدة. وبين المحافظة والتحرر تولد صراع بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وبين قيم الماضي والحاضر، وكلها تحولات فرضتها الظروف الاقتصادية والثقافية للبلد؛ "فقد شهدت الأسرة في مجتمعات الخليج العربي تغيراً من هذا القبيل، بعد ظهور النتائج الاجتماعية لحياتها الاقتصادية الجديدة التي بعثت بها ثروة النفط. فالتعليم والدخل المتزايد للفرد، ومشاريع التنمية، والتخطيط الديمغرافي الجديد، واستقرار الحياة السياسية بأحد الأشكال الديمقراطية (مجلس الأمة)، كل هذه المؤشرات، وغيرها تمثل ضربات عنيفة لحتمية المعايير، وضبطها لنظام الأسرة، لأنها بمثابة النوافذ، التي أشرعت أبوابها لهب النزعة الفردية، ولاقتحام المثل البرجوازي الأعلى للنظام الأسري التقليدي المغلق" (غلو، 1986، الصفحات 124-125).

ويمكن أن نصنف رواية "بنت المطر" لمريم الغفلي ضمن المحور الأول "المحافظ". فمضمونها الاجتماعي، انطلقت فيه الكاتبة من الأسرة بعد أن طال التغيير ثوبتها، وأصبحت وحدة اجتماعية متغيرة "لا وجود فيها للمساواة والحرية الفردية بين أفرادها، وحيث المكبوتات القهقرية الهائلة للبيول، والرغبات التلقائية، وحيث الحالة القيمية المستمرة للأفكار الأخلاقية المضادة؛ ذلك طالما أن الأسرة في سكون تام، أمام الحتمية، التي تفرضها المعايير، والقيم" (غلو، 1986، صفحة 124) وأمام جدلية خصوص الأفراد لتقالي드 المجتمع الإماراتي، والتمرد عليها جاءت رواية "بنت المطر" لتصور لنا نموذجاً عن المرأة المحافظة الصابرة والراضية بقرارات أسرية جائرة فرضت عليها، وتحملت عوائقها بكل إيمان وصبر.

1. ملخص الرواية: صدرت رواية "بنت المطر" للكاتبة الإماراتية "مريم الغفلي" عام 2009، عن دار الحوار، وتضم 277 صفحة متوسطة الحجم.

تحكي الرواية قصة "لطيفة" اليتيمة؛ التي عاشت حياة قاسية مع زوجة أبيها "نورة"، بعد أن فقدت والدها وهي ابنة الإثنتي عشرة عاماً، لتتزوج زوجة أبيها بعد العدة مباشرةً بائن عمها السكير "عبد الله"، الذي كان يتحرش بها. ولما بلغت الفتاة خمسة عشرة عاماً قررت "نورة" تزويجها من شيخ

- توطئة -

الرواية الإماراتية رواية فتية فنياً مقارنة بنظيرتها العربية، حيث تعود بداياتها الأولى إلى سبعينيات القرن الماضي، مع رواية شاهندة لعبد الله النعيمي، و"على مدى ثلاثة عقود من الزمن نجد أن الشكل الفني للرواية قد قطع أشواطاً عديدة، فإذا كان راشد عبد الله قد اعتمد شكلاً سردياً بسيطاً يتسم بالحكائية؛ فإن الكتاب اللاحقين قد سعوا إلى تبني الأشكال الفنية المتقدمة. إذ تأثر الكتاب الإماراتيون الجدد والمحضرون منهم بالأشكال الفنية الحديثة، مجارين بذلك النقلات السريعة الجارية على مستوى التطوير العماني والمؤسسي في البلد، حيث جاءت التجارب الروائية اللاحقة متباعدةً أنماطاً حديثة" (البييل، 2016، صفحة 37)، ومن أبرز الأسماء الروائية المتميزة ذكر: "علي أبو الريش، منصور عبد الرحمن، ثاني السويفي، محمد غباش، إبراهيم مبارك، ناصر الظاهري..."

كما نجحت الكتابة النسائية الإماراتية في رسم جماليات المتخيل المنعكس عن الذات والواقع، ولعل أول رواية لمبدعةً إماراتية هي رواية (شجن بنت القدر الحزين) لحصة الكعبي، وقد صدرت عام 1992. ومن الأسماء المتميزة في ساحة الإبداع النسوية ذكر أيضاً ميسون صقر، باسمة يونس، نادية النجار، سارة الجروان، أسماء الزرعوني، أمانيات سالم، صالحة غابش، ومريم الغفلي ...

وقد استطاعت الرواية الإماراتية أن تنقل قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية من الواقع، كما عالجت موضوعات اجتماعية حساسة في المجتمع الخليجي كمشكلة تعليم المرأة، وتعدد الزوجات، والاغتراب، والهجرة؛ "فمجال الرواية هو المجتمع، وفضاؤها قضائيه، وهي من حيث مضامينها وعوالمها سجل اجتماعي يرصد حركة التغيير التي تطرأ على المجتمع وتأثير في سلوكه، فهي النص قادر على استيعاب حراك المجتمع وتفاعلاته" (البييل، 2016، صفحة 25)

وقد تدرج الروائيون في طرح هذه القضايا الاجتماعية انطلاقاً من الأسرة باعتبارها أهم لبننة في المجتمع، وذلك وفق محوريين رئيسين هما: شخصيات خاضعة وراضخة لحتمية تقاليد المجتمع الإماراتي، وشخصيات راضفة نادت

صفحة (34)، كما يُعد بمثابة اللافتة الإشهارية التي تدعو القارئ وتغريه بضرورة قراءة النص.

وقد اختصر عنوان رواية "بنت المطر" متنها، فهو مركب اسمي تكون من مبتدأ ومضاف إليه ، أحال على دلالات عديدة ، منها الخصب والنمو ، ذلك أن المطر هو مني الأرض يسقيها ويخصبها ، ومن جهة أخرى أحال على الحزن والقصوة ؛ فالوقوف طويلا تحت المطر يؤدي إلى البلل والبرد ، وبالتالي المرض. وكلها صفات تتطابق على "لطيفة" التي نشأت في أسرة ميسورة الحال لكن الظروف الصعبة جعلتها تعاني آلاما وقصوة.

كما تحيل تسمية "بنت المطر" علميا على حشرة صغيرة معروفة في منطقة الخليج ، وهي حمراء اللون تظهر بعد سقوط المطر، وترمز للخصب والنمو ، وهي في الرواية تشبه لطيفة حيث منحها البطل "محمد" هذا الاسم لأنها فتاة الصدف ، وجل لقاءاتها كانت عند هطول المطر ، تقول الكاتبة: "جمال رباني... أمسك يدها بقوة ، تشبت بها برجاء قائلًا: تبدين كبنت المطر. يغالب ابتسامة على وجهها فجأة. حتى أنت بحق كبنت المطر التي تخرج من مخبئها فجأة. حتى وجهك أحمر كما هو حال ملابسك الحمراء. من أنت؟..." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 265). ليحيل عنوان الرواية على دلالات الخصب والنمو والجمال من جهة ، والحزن والشقاء من جهة أخرى ، وكلها تدخل ضمن ثنائية "الحياة والموت" و"الامتنالك والافتقاد".

3. تجليات فقدان الامتنالك في الرواية

تعد رواية "بنت المطر" من الروايات الإماراتية الواقعية التي مزجت بين الواقعية والمتخيل ، لنقل رسالة هادفة للمتلقي ، "فالخيالي لا يجد جذوره العميقه والمغذية في الصور، وهو في حاجة إلى حضور أقرب وأكثر مادية" (Bachelard, 1991, p. 164)

فعالجت صورة المرأة في المجتمع الخليجي ، وفق مستويات "الفقد ، والحنين ، والاعتراض" ، وهي صورة نمطية موروثة عن المرأة الإماراتية الضعيفة الخاضعة كما صورتها الروائية من خلال شخصية البطلة "لطيفة". فقد كانت حياتها "تعبير دال على حركة هذا الزمن ، وما يتواجد فيه في عالمنا — أي ذلك التناسل الموصول الذي

ثيري دون أخذ إذنها بالقبول أو الرفض ، وقد كانت صدمتها كبيرة لأن حلم إتمام دراستها كما وعدت والدها قد تلاشى. وكان مصابها جلا عندما علمت أن العريس شيخ كبير طاعن في السن. ليتم الزواج بينهما ، وبعد حفلة الزفاف أخبرت "لطيفة" الشيخ بالخدعية التي حيكت لها من قبل عمتها ، فرأف بحالها ، واقتراح عليها حلين اثنين: الأول ؛ أن ترجع إلى عمتها "نورة" ، بشرط أن ترجع كل الأموال التي صرفها عليها. والحل الثاني: هو أن تبقى معه لتعتني به كوالدها ، لأنه شيخ وغير قادر على دلالها. احتارت لطيفة وفكرت في الجحيم الذي ستعيشه إذا رجعت لبيت "نورة" وزوجها فقبلت بشرط العجوز الثاني ، وهو أن تبقى معه تحت مسمى زوجة فقط ، واشتربت عليه أن يتركها تكمل دراستها فوافقت.

كان للشيخ ابن واحد اسمه "عبد الله" ؛ وهو متزوج بابنة عمّه "شيخة" ، وكانت يكرهان لطيفة كرها شديدا ، وكان الشيخ قد وَكَلَ ابنه بكل أمواله ، فكان لا يصل "لطيفة" إلا مبلغ زهيد كل شهر تتفقه في شراء الكتب والمجلات. أمضت "لطيفة" عشر سنوات من عمرها في خدمة هذا العجوز ورعايته ، لأنه كان يعاني من أمراض كثيرة. كما تحملت إساءة العجوز الذي يصبح عصبيا في كثير من الأحيان ، بل ويضررها بعصاه. وكذا إساءات "شيخة" وأمها وجارتها. وكان ملاذها في كل هذا دراستها ، وجارتها "أم محمد" التي كانت بمثابة أمها ، وظيف شاب التقته صدفة أمام المدرسة.

يمرض العجوز وينقل للعلاج في لندن ، هناك تلتقي "لطيفة" بـ"حمدة" التي كانت لها نعم الصديقة. ثم يموت الشيخ ، وترجع إلى الإمارات ذليلة وحيدة ، لتطرد من منزلها بعد انتهاء عدتها. هنا تلجأ إلى صديقتها "حمدة" التي تساعدها في العثور على أهلها ، كما تتصل بها "أم محمد" بعد عودتها من العمرة وتساعدها في محنتها.

تحصل لطيفة على ميراث أبيها وتصبح ثرية ، ثم تلتقي بفتى أحالمها "محمد" وتتزوج به وتنجب منه توأمين ، وتكمل حياتها في سعادة وهناء.

2. رمزية العنوان

العنوان "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها ، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها ، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه" (البستانى ، 2002 ،

بعد وفاة والدها لكن نوره هذه المرة ترغب في حرمانها من دراستها والتخلص منها. ماذا تفعل؟" (الغفلي، 2009، صفة 11)

فقدت لطيفة حربتها كما فقدت قبلًا طفولتها، وبسمتها، وأحلامها بفقدان الأسرة وبالتالي، الأمان / السعادة/الحلم.

كانت شخصية "لطيفة" في الرواية تشبه شخصية "سندرا" مثالية وضعيفة، منقادة غير مقاومة، فرغم إدراكها للخطأ، ووعيها بالظلم الممارس عليها، ورفضها للواقع، إلا أنها لم تملك القوة للمواجهة والرفض أو حتى التمرد. لكنها سلمت أمرها لله سبحانه وتعالى فهو أحقّ عليها من كل البشر تقول: "ليس لي أحد سواك يا ربِي، لمن الجأ ليس لي أحد يا ربِي. كن معي يا ربِي، لا تتركي لأهواء نوره تقاذفي، يا ربِي لا تتركي وحدي وخذ بيدي" (الغفلي، 2009، صفة 12)

أقنعت "لطيفة" نفسها بحلّ الزواج، وقبلت في سريرتها أن تهب نفسها لزوج شاب، سيعوضها أمها، وخذلانها، وحتى الحرمان المادي والمعنوي الذي مارسته عليها زوجة أبيها "نوره". لكن للأسف كانت صدمتها قوية عندما علمت أن عريسها ليس إلا شيخا هرما؛ فـ"لطيفة" وجمالها أصبحت بقایا سعادة. رحل حظها وسعادتها مع رحيل والدها ولسلطة اتخاذ القرارات.

أ-الصفقة وتبعاتها

رغم قساوة القدر على لطيفة، إلا أن صبرها وقوتها إيمانها منحها حلولاً، وبصيص أمل من أجل المواصلة والاستمرار، وبعد أن استيقظت من إغمائها وجدت العجوز أمامها، وكان "الألم" يكاد يفتك برأسها وهي لا تقوى على رفع جسدها المترافق من السرير. تجلس مكانها ضائعة لا تعرف أين هي، كما اختلط عليها الزمان، تحاول معرفة المكان والوقت، تتذكر المكان، تنظر خيوط النور التي حاولت التسلل رغم ستائر الثقلة المنسدلة، وتحاول التعرف على المكان" (الغفلي، 2009، صفة 31)

يشير إلى دينامية الزمن على قاعدة موت له معنى الفقدان، وولادة لها معنى لاستعادة الحياة ولديمومتها" (عید، 2011، صفحة 282).

وقد انقسمت الرواية على مستويين:

-مستوى فقد والخضوع / ومستوى الامتلاك وتحقق الحلم.

1-مستوى فقد والخضوع

يعد فقد خسارة؛ وقد يكون مادياً أو معنوياً، فإن تَفْقِد هو أن تُضيّع أو تخسر شخصاً عزيزاً، عاطفة أو شعوراً حميمياً جميلاً، أو شيئاً ثميناً بالنسبة لك، كما قد يفقد الإنسان ذاته أيضاً. وقد تعددت أشكال فقد في مدونتنا.

تنطلق الرواية من لحظة الحاضر لتفصيل بالقارئ في فصولٍ وتقاصيل تجربة حياتية لبطلة اسمها "لطيفة" التي أددت دور الراوي والمروي عنه في آن واحد، مما جعلها بطلة محورية تنسج وتتسّج حولها عالائق متداخلة ومتفاوتة ، تتألف بينها وبين باقي شخصوص الرواية التي يقوم التركيب النصي فيها على مشاهد يتداخل ويتقاطع فيها الحاضر بالماضي ، وتحضر بطريقة تقابلية تتأسس على المفارقة ، مما يعمق الإحساس بالخيالية...ويقوى الإدراك بفداحة وأفول الحلم " (مسعود، 2006، صفحة 104).

عانت "لطيفة" من فقد ماديٍّ ومعنويٍّ، حيث فقدت والدتها، ولم تعوضها زوجة الأب "نوره"؛ فقد كانت امرأة قوية ، وفاسدة ، وشريرة ، تلذذ بحرمانها من أبسط حقوقها. ثم تلاه فقد والدها وهي ذات الثانية عشرة عاماً، حيث تزوجت "نوره" مباشرةً بعد انتقامه عدتها من ابن عمها السكير "عبد الله" الذي لا يفتّأ يضايق نوره ويتحرش بها. ولم تكتف "نوره" بمعاملتها السيئة لـ"لطيفة" ، بل قررت أن تزوجها زوجاً تقليدياً مبكراً، دون أخذ إذن الموافقة منها. لتفقد "لطيفة" مرة أخرى حُرمتها ، وحلّمها وحمل والدها ياتمام دراستها. تقول مريم الغفلي: "ما هذه الأحساس التي تجتاحها؟ مخاوفها في تلك اللحظة كانت منصبة على كيفية تركها لمنزل والدها، ولا شيء آخر من حياة جديدة لا تعلم عنها شيئاً. لم تكن تعلم ما يخبئه لها القدر ، فهي لازالت طفلة...لا طاقة لها على مفارقة هذا المنزل. رحل منه الأحباب ، وتركوا ذكرياتهم أمانة في ذاكرة لطيفة. تحملت كل ما جرى لها

- 6-السفر والتعرف على عاصمة الضباب لندن ، وأهم مناطقها السياحية.
- 7-تعرفها على صديقتها "حمدة" التي كانت لها نعم الرفيقة ونعم المؤنسة.
- كان للشيخ "أبا عبد الله" ابنا انتهزريا ، كان همه ثروة أبيه وتجميع أمواله ، وكذلك زوجته "شيخة" التي رفضت تقديم المساعدة للشيخ في غياب زوجته "لطيفة" ، رغم أنه عمها شقيق والدها تقول: "غالبته العبرة وهو يقول: أتعلمين ناديت على شيخة كي تناولني الدواء ولم تحضر ، حتى لم تدخل غرفتي كي تسلم علي..." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 43)
- وبعد تدهور حاله قرر ابنه اصطحابه للعلاج في لندن ، مستغلًا الفرصة للسياحة مع زوجته وأطفاله. وفعلاً تمت الرحلة وكانت أعباء السفر صعبة على العجوز المُتعَد ، حيث كانت نفسيته جد متعبة ومتأنمة ، وقد ألقى جام غضبه على زوجته المسكينة ، التي كانت هي الشخص الوحيد الذي يهتم به ، ويرأف لحاله. تقول: "أيام مررت على لطيفة وهي مرتبطة بالعجز ، من المستشفى إلى الفندق والجلوس معه لا تستطيع الخروج. أصبح أكثر تشبثاً بها بجانب عصبيته التي أصبحت لا تقوى على احتمالها ، وعندما يحل الليل تنزوئ على الكتبة الصغيرة وتترك لدموعها العنان كي تعبر شلالات وغدراناً تغسل همومها وآلامها حتى يأخذها النوم بعيداً" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 102). ليكون وقت الليل الفرصة التي تراجع فيها لطيفة حاضرها المزري ، ثم ترثي نفسها الميتة والدفينة في وكر شيخ عجوز.
- لم يشفع للطيبة الخروج من هذا الكابوس ، سوى حقيقة المشفى بلندن ، بمناظرها الخلابة المنفتحة على بحيرة تتفاوز من حولها الطيور والنوارس والبط. حيث اتخذتها لطيفة متنفساً لها من كل هذا العذاب والضغط النفسي الرهيب. وقد تعرفت فيها على صديقة من الإمارات ، اسمها "حمدة" ؛ قدمت هي الأخرى منذ ثلاثة أشهر من أجل علاج والدتها ، وهي نفس المدة التي قضتها "لطيفة" في لندن. وقد تقاجأت وتعاطفت معها لزواجهما بشيخ مُسن تقول: "حرام ، حرام أنت زوجته ؟ كيف ذلك كيف التقى الخريف مع الرياح ؟ كيف لوردة متفتحة أن تتزوج بيقاها رجل ؟" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 120). كما عرفتها بخدمتها "أم بلال" فكانت لها "حمدة" نعم الصديقة

- سردت لطيفة لزوجها العجوز خديعة نورة لها ، فرأف بها واعترف أنه عاجز عن دلالها وإسعادها كامرأة شابة ، فقبل أن تعيش معه كابنته. ووافقت أن تمضي حياتها معه رفيقة ، وممرضة ، بل وكخادمة ، على أن ترجع لحجم زوجة أبيها. وهو انفراج حمله المقطع السردي مع دلالات أمل اختبات بين السطور ، فعندها وظفت الروائية عبارات " خيوط النور التي حاولت التسلل رغم ستائر التقيلة المنسدلة" أرادت بعدها استشرافياً إيجابياً فرغم الظروف الصعبة واليأس الذي أحاط بكلطية ، فإنه هناك بصيص أمل بالانفراج يلوح في الأفق. تقول: "وتلامح لها إحساس بالراحة ، داهمها أمل جديد بشيء ما غمرها نور وسلام داخلي أنار حياتها في تلك اللحظة ، أحست أن هذا العجوز هو والدها الذي تمنت وجوده معها قبل أيام ، وكان الله قد حقق لها ما تمنت ، لكن بطريقة أخرى لا تخطر على بال" . (الغفلي ، 2009 ، صفحة 37).
- واستمرت هذه الاتفاقية بين "لطيفة" و"الشيخ" مدة عشر سنوات فقدت فيها البطلة سعادتها وأحلامها ، وبال مقابل تمكنـت من اكتساب بعض الإيجابيات كـ
- 1-تعويض الأب المفقود من خلال زواجهما بالشيخ "أبو عبد الله"
- 2-مواصلة دراستها وبالتالي تحقيق حلمها وحلم والدها.
- 3-التعرف على جارتها "أم محمد" التي عوضـت الأم المفقودـة.
- 4-التخلص من قسوة زوجة الأب "نورة" وشـرـها ، وإن كانت قد عوضـتها زوجـة الابن "شيخـة" وأمـها وصـوـيـحـبـاتـها حيث كـنـ يـكـرهـنـ لـطـيفـةـ ، ويـتـنـافـسـ فـيـ إـحـبـاطـهـاـ ، وـذـكـرـ عـيـوبـهـاـ تـقـوـلـ: "ـشـيـخـةـ يـاـكـلـهـاـ الـكـرـهـ وـالـحـقـدـ يـنـهـيـشـ قـلـبـهـاـ نـهـشاـ ، لـشـيـءـ سـوـيـ سـوـءـ الـظـنـ" (الـغـفـلـيـ ، 2009ـ ، صـفـحةـ 69ـ)ـ ،ـ لـكـنـهـاـ وـاجـهـتـ كـلـ مـكـائـدـهـنـ بـالـصـمـتـ "ـتـعـلـمـتـ لـطـيفـةـ فـيـ هـذـاـ مـنـزـلـ الصـمـتـ ،ـ تـنـظـلـ صـامـتـةـ تـلـعـقـ جـراـحـهـاـ بـنـفـسـهـاـ ،ـ لـاـ تـرـبـدـ إـخـبـارـ الصـمـتـ ،ـ تـنـظـلـ صـامـتـةـ تـلـعـقـ جـراـحـهـاـ بـنـفـسـهـاـ ،ـ لـاـ تـرـبـدـ إـخـبـارـ أحدـ بـمـاـ يـجـريـ لـهـاـ فـيـ هـذـاـ مـنـزـلـ.ـ دـفـنـتـ كـلـ مـعـانـاتـهـاـ فـيـ قـلـبـهـاـ ،ـ وـجـلـ تـفـكـيرـهـاـ مـنـصـبـ عـلـىـ الـاـنـتـهـاءـ مـنـ دـرـاستـهـاـ".ـ (ـالـغـفـلـيـ ، 2009ـ ، صـفـحةـ 45ـ).
- 5-كـانـتـ الـدـرـاسـةـ سـبـبـاـ فـيـ التـقـائـهـاـ بـفـتـىـ أـحـلـامـهـاـ ،ـ الـذـيـ أـيـقـظـ مشـاعـرـهـاـ وـمـنـحـهـاـ سـعـادـةـ وـلـوـ مـؤـقـتـةـ.

لها هدف لا تعرف ماهيته" (الغفلي، 2009، صفحة 66). لم تصدق لطيفة أنها مثل كل الفتيات تملك أحاسيس ومشاعر، "تساءل: كنت أخالني مختلفة عن باقي بنات حواء، لم أكن أعلم بأني أمتلك مثل تلك الأحاسيس. لكن تلك النظارات فجرت في نفسها براكيين من الأحاسيس التي أصبحت تعذيبها. أحاسيس دفتها وتناستها منذ اكتشفت أن قدرها ساقها نحو النهاية ، مع أنها لم تعيش البداية ، نحو الموت البطيء مع أنها لم تحظ بفرحة الميلاد. أصبحت عجوزاً في مشاعرها ، ولم تمر بمرحلة شباب المشاعر..." (الغفلي، 2009، صفحة 67).

ظللت لطيفة تحلم بفارسها، وكثيراً ما كان يخرجها من أحلامها صوت العجوز البائس وهو يتالم.

التحقت "لطيفة" مرة أخرى بفتى أحلامها صدفة في مكان لا يخطر على البال، كان اللقاء هذه المرة تحت سماء لندن في يوم ماطر، وهي تتأهّب لأخذ سيارة أجرة "في وسط الحشود المزدحمة أحسّت بمن يراقبها. لا تعلم لماذا داهمها هذا الإحساس. فجأة صدرت منها التفافات ليمينها، كان هناك يراقبها. بدا شكله مختلفاً بشعره الأسود الناعم الذي ارتاح من ضغط السفرة والعقال، وبملابسـة الحديثة، وقميص أبيض بأكمام قصيرة... لم تستطع التحكم في نظراتها التي بادلته بالنظر، وهي تهم بدخول السيارة مستعجلة التقت عيناها بعينيه، إنه هو الشخص الغريب نفسه. معذيبها" (الغفلي، 2009، صفحة 114)، حيث التقت العيون محدثة شرارة في القلب عجز العقل عن فك شفاراتها أو تفسيرها.

لم تقطع الصدف بينهما ، حيث التقته مرة أخرى في متجر في لندن ، زارته مع "حمدة" لاقتناء بعض الهدايا للأهل ، فاضطربت وارتبت لرؤيتها يقترب منها ؛ تقول "فجأة تحين منها التفاتة باتجاه الباب. كان ظل طويل يتهاดى تجاههم ، ملامح شرقية جميلة تغطي على كل من تواجد هناك ، تلمحه وكأنه يتوجه نحوها هي ، ... لأول مرة تقف وجهاً بوجهه هو نفسه... بشعره الأسود اللامع حيث بدت قطرات المطر كأنها حبات الماس تلمع بشفافية على شعرات رأسه القافرة بخوف جراء الهواء والمطر بالخارج" (الغفلي ، 2009 ، الصفحات 136-137) ، ليكون المطر في كل مرة بمثابة همسة الوصل بين روحيهما كما كان همسة وصل بين السماء والأرض. تلك الأحداث النفسية التي تقوم بها النفس رداً على الأحوال

التي هوّنت عليها ألم الواقع ، والغربة ، والضياع الذي تشعر به .
لتحيل الكلمات الموظفة في المقطع السردي
"المشفى/الحديقة/البحيرة" دلاليا على الحالة المرضية المزوية
التي تعيشها لطيفة والتي ستنفرج للشفاء والمعافاة ولو بعد
 حين .

بـ-ملاذ البطلة في مواجهة واقعها

الصدفة ولقاء فتي الأحلام

رافق خيبة البطلة "لطيفة" وكل هذا الضياع الذي شعرت به والرتابة التي غشيت حياتها، حلماً جميلاً كان ملادتها عند كل إغفاءة، أو خلوة مع ذاتها. فـ"الآن" ميلان نحو اللذة، ويحاول تجنب الألم (سبيلاً محمد). بن عبد العالى عبد السلام، 2009، صفحة 115)؛ حيث حدث وأن التقت صدفة بفتى أحلامها عند باب المدرسة، بعد أن انهالت عليهما زميلتها "مريم" بالضرب، لأنها لم تعطها الإجازة أثناء الامتحان، ونزعـت عنها نقابها، لينكشف وجهها الوضاء أمام الشاب الذي انبهـر بجمالها، وقد ساعدـها في جمع أوراقها المتناثرة بكل أدب واحتشام "فجأة انتبهـت لوجود شخص بجانبها يساعدـها في جمع الكتب المتناثرة على الأرض، رفعت نظرـها باتجاهـه، وعاصفـة من الأحساسـ اجتاحتـها، لا تعلمـ ما حلـ بها، تتسلـل لأنفـها رائحةـ عطرـ أخاذـة، عندما تلاقـت العيونـ كان قريـباً منهاـ" (الغـافـلـيـ، 2009ـ، صـفـحةـ 51ـ)

أحدث هذا اللقاء شغفا في قلب لطيفة ، ودندغ فيها
مشاعر أنثوية مليئة بالخجل ، والشوق ، والرغبة ، كما ظلت
في منزلها تسترق اللحظات لتحلم بطياف هذا الشاب "ذلك
الفارس الذي صادفته في ذلك اليوم هو من فتح لها هذا الباب
الذى ظل مغلقا حتى التقته ، هو من فتح عينها على هذه
الأحساس التي ما فتئت تجتاحها ... تخيلته أبا حنونا بدلا من
والدها الراحل . تخيلته خالا أو عمّا ، تخيلته حبيبا فارسا فتى أحلام
جانبها ، تخيلته خالا أو عمّا ، تخيلته حبيبا فارسا فتى أحلام
تحلم به كل فتاة وامرأة على وجه الأرض ، وليس هي فقط .
أصبح الطيف الغريب الذي تلاقت عيونها مع عينيه فجأة هو
الحلم القادم . يراود خيالها ، ملك عليها حياتها ، أصبح محور
أحلامها وأمالها ، احتل قلبها ، فيما من قوة تستطيع انتزاعه . لا
تعلم تقسيرا لحالها . من بعد ذلك اليوم تغير كل شيء ، أصبح

على الصخور المكدة على الشاطئ. الأفق الأبيض الصافي، مجموعة من السفن وناقلات النفط بدت من بعيد وهي تناسب بيضاء في مياه الخليج.. أشجار جوز الهند ترتعش الحديقة المطلة على الشاطئ الرملي. رائحة البحر مختلطة برائحة أشجار الليمون. تنفس بعمق وهي تقف مشدوهة" (الغفلي، 2009، صفحة 211) هذا التماهي مع هدوء البحر وجمال المكان جعل الهدوء يسري في نفس "لطيفة" لتشعر بالراحة فتتذكر ماضيها والسجن الذي كانت مأسورة فيه ، وهي راضحة قانعة تقول مخاطبة صديقتها:

"هل تعلمين يا حمدة بأنني عشت السنوات الماضية حياة معلبة ليس فيها متنفس؟ هل تصورت مدى صعوبة أن تصحي وتتمامي وأنت لا ترين الخارج؟ لا تنفسين هواء خارجياً محبوسة بين أربعة جدران. هل تصورت مدى الملل والضيق الذي كنت أحسه وأعانيه وأنا محبوسة بين أربعة جدران وحراس ناس غلاظ قساة القلوب لا يأبهون لحالى" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 212).

كانت لطيفة تدرك أنها محرومة من التجوال ، وتغيير الجو في ذلك المنزل المظلم ، لكنها كانت قانطة يائسة من كل ما هو جميل ، إلا أن الله كافأها على صبرها وقوتها إيمانها ، تقول: "كنت أحن لرؤية مساحات خضراء ، كنت أحن للمشي على الرمال ، كنت أحن لرؤية زرقة البحر كما هي الآن. لا أعلم كيف تحملت كل ذلك ، لا أعلم. الحمد لله أن تلك السنوات انقضت بغير رجعة ، الحمد لله أني انعدمت من ذل عبوديتي لتلك العائلة البائسة.." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 212)

فقد الزوج والمأوى- نهاية ويات

يتولى مسلسل فقد في حياة "لطيفة" حيث توفي زوجها في مستشفى لندن ، وهي معه وحيدة بعد سفر ابنه وأسرته بعد تفجيرات أمريكا 2011. فتحزن لوفاته حزنا عميقاً، حيث رافقته مدة عشر سنوات ، كانت فيها نعم الرفقة والزوجة المطيعة. ينقل جثمان الفقيد إلى الإمارات ، أين يقام العزاء في منزل والد "شيخة" ، في حين تهمش "لطيفة" وتقابل بالجحود والنكران ، بل وتطرد من منزلها الذي أوصى به زوجها ابنه "عبد الله" أن يسجله على اسمها مع مبلغ من المال ، لكن لم ينفذ وصيته.

الاجتماعية والطبيعية التي تعرقل الإشباع الكلي لحاجة ما ، فتنعكس في أقوال الفرد العادي وأفعاله" (عصار ، 2008 ، صفحة 80)، وتأكدت "حمدة" أن كل هذه الرجفة ما كانت لتتصدر إلا من عاشقة ولهاة ، لكن "لطيفة" امتنعت عن البوح بمكnon روحها ، وفضلت أن تحتفظ بسرها لها فقط.

-مظاهر الطبيعة

تعد علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة وطيدة ، بعدها المكان الأول الذي يستعيد فيه الفرد راحته واتزانه. اختارت لطيفة أن تختلي بنفسها عند أول فرصة ستحت لها ، وذلك في حديقة المشفي في لندن المطلة على بحيرة ساحرة "تجه نحوها ، وتنظر حولها ، الأشجار الضخمة المغطاة بالطحالب والنباتات المتسلقة. الطيور المختلفة ، تماثيل تنتشر في كل زاوية ، يتراءى لها كرسي خشبي تحت إحدى الأشجار الضخمة فتيمم شطره وتجلس مبهورة بما تراه من طبيعة خلابة وعالم مثالى" (الغفلي ، 2009 ، ص106)

كانت "لطيفة" تذهب وحيدة لتأمل الجمال الإلهي الخلاب ، ولرؤيه الحمام والبط والستاجب في حركاتها العفوية. لتنسى همومها وحاضرها المؤلم. فهي "تلجاً إلى الحلم ، لا بمعنى الهروب الرومانسي الساذج ، وإنما هو هروب إبداعي يخرج من الزمن إلى زمن آخر ، ومن مكان إلى مكان آخر ، حيث لا يكون الطرف قيداً أو مانعاً" (الغدامي ، 1996 ، صفحة 222) فكثيراً ما استذكرت البطلة لحظة لقاءها بفتى أحالمها ، متحسراً على شبابها الذي وُدِّ في مقتبل عمرها "في تلك اللحظة اجتاحتها ذكريات ذلك اليوم ، وكأن بركاناً انفجر وأخرج منه ما كانت تخشاه من ذكريات تحاول كبتها وطردها. ذكريات ذلك اليوم ، وتلك النظارات التي لا زالت تتراوهد في حلها وترحالها ، تذكر من أصبح فارساً لأحلامها ، تذكر ذلك الوجه الجميل والعينين الحالتين. أين هو بكل عنفوان الشباب من بقايا الرجل الذي تسجن نفسها معه؟" (الغفلي ، 2009 ، الصفحات 106-107)

وتعود علاقة البطلة بالطبيعة حميمية في الرواية ، فقد كانت الواجهة البحرية المقابلة لنافذة "حمدة" بدبي ، هي مكانها المفضل لتأمل البحر والشعور براحة ولو مؤقتة. حيث "تجهت لطيفة للنافذة ، وقفـت لدقائق صامتة. كان المنظر رائعـاً ، البحر بلونه الزمردي الساحر وأمواجه الهادئة المتكسرة

"حسب وجهة نظر الرواية على الولد اليتيم أن يعيش يتمه ، ويقبل نتائجه ويعيه كمرحلة ضرورية لبناء شخصيته. عليه أن يعيش الحرمان العاطفي والتهميش الذي على "البطل الملحمي" أن يحياه في مستهل حياته ، وذلك لكي يأخذ فيما بعد البعد الملحمي للبطولة عمقه وزخمه وقيمه الاستعراضية وهالته النابعة من الانتقال من وضع الحرمان والصغار والإهانة إلى وضعية الانتصار والتجلّي في أبيه صورة" (بودابيو ، 1995 ، صفحة 91) ، فهل استطاعت البطولة لطيفة أن تتجلى في أبيه صورة بعد وفاة زوجها وترددها دون مال ودون مأوى؟

2-مستوى الاملاك والتخلص من لعنة سوء الحظ

بعد الاملاك بعد فقدان نعمة يحس بحالاتها كل إنسان عانى وبلات الحرمان كبطلة الرواية ، التي بدأ مسلسل فقد ينتهي عندها لتتوالج ياكليل النصر والفرج ، لهذا "فإن كل المشاعر أضحت شكلًا من أشكال الاغتراب الذي تم تعويضه بمشاعر الاملاك" (Marks ، 1929 ، صفحة 28)

لجاج "لطيفة" إلى "حمدة" بعد انقطاع كل السبل أمامها ، فعرضت عليها البقاء معها ، وكذلك "أم محمد" بعد عودتها من البقاع المقدسة ، اتصلت بـ"لطيفة" وفتحت أمامها أبواب منزلها لأنها تعتبرها كابنة لها ، فكانت أمًا بديلة ، وعبرها تم استرداد موضوع القيمة (الأم الميتة). لكن "لطيفة" قررت أن تواجه واقعها وأن تبحث عن منزل والدها.

التقت "لطيفة" أثناء رحلتها لتحقيق ذاتها بالخدمة "أم بلال" التي أكدت لها أنها تعاني من نفس بسبب وجود شامة في ظهرها ، وهي سبب كل معاناتها وقدها لسعادتها ، وطلبت منها أن تسمح لها بحرقها ، حتى تتخلص من لعنة سوء الطالع التي تلاحقها ، وبعد إلحاح منها قبلت لطيفة بذلك: "أنظري حمدة: أتررين هذه الدائرة في ظهر لطيفة؟

كانت هناك دائرة من الشعر ملتفة بعضها على بعض...

قالت حمدة:

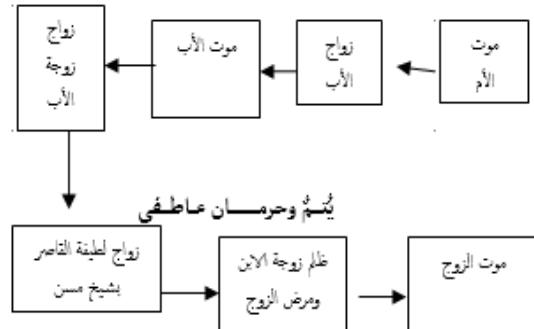
نعم، صحيح هذا. كانت أمي تخبرني أن هذه عالمة شوئ يطلق عليها اسم...نسينت ، ماذا يطلق عليها أم بلال؟

قالت أم بلال:

هذه ناسفة

تتوالى الصدمات تباعاً على البطلة لتجد نفسها دون مأوى ، فتفكر في بيع الذهب الذي اشتراه لها "نوره" كمهر فتصدم أنه مغشوش ومزيف. فتلجأ للإقامة مؤقتاً في مطبخ جارتها "أم محمد" الغائبة لأنها في البقاع المقدسة ، لكن جاراتها يتهمنها بارتکاب الفاحشة مع الحارس "عبد السلام" فتُجبر إلى السجن ضعيفة وذليلة. بعدها تثبت براءتها ، وتخرج من السجن متوجهة إلى "ديبي" أين تقيم صديقتها "حمدة" ، فهي ملادها الأخير والوحيد. وتسقطها استقبلاً حاراً ، وتعرض عليها أن تقيم معها ، بعد وفاة أمها.

كانت السلطة الصارمة التي مارست ضغطها على لطيفة في الرواية هي الأثنى ممثلة في شخصياتي "نوره" و"شيخة" ، فالمرأة هي من قمعت حريتها ، وسلبتها حقوقها في تقرير مصيرها ، أو امتلاك ميراثها ، ليكون صوت السلطة الذكورية في هذه الرواية خافت ، بل وعجز على اتخاذ القرارات وذلك مثل الشيخ أبو عبد الله وابنه. ويمكن أن نلخص مستويات فقد لدى البطلة في الخطاطة الآتية:



تأسست متواлиات فقد لدى البطلة "لطيفة" من خلال البرنامج السردي للرواية بفقدانها للأم (موضوع القيمة) ، وتعويضها بزوجة الأب القاسية التي رفضت القيام بنفس الدور ، وحرمت الفتاة اليتيمة من الحنان والحب بعد وفاة أمها أولاً ، ثم بعد وفاة والدها ثانياً ، وذلك بزواجها وتزويجها. حيث عاشت البطلة في أسرتين؛ الأسرة الأولى منزل والديها الذي ولدت وعاشت فيه حياة مستقرة سعيدة ، ثم تغير حالها بعد فقدان الأم وتعويضها بالأم البديلة. وكانت لطيفة راضية بهذه الحياة رغم قسوتها. أما الأسرة الثانية وهي أسرة زوجها ، وقد وسمها خضوع البطلة للواقع رغم حزنها وألمها وعدم رضاها بهذه المعيشة. التي انتهت بوفاة زوجها.

هو تركيب عميق ينصلح فيه الكائن الواقع كوني" (Biguin, 1967, p. 140) فقد كان خيال فتى الصدف حاضراً في ذهنها، وقد حلمت به في منزل "أم محمد" قبل أن تغفو تقول: "رويداً رويداً بدأت أفكار جميلة تتسلل لها، تداعب خيالها بصور ذلك الخيال الباهت الذي ما فتئ يتغذى بالشوق لتلك العيون. لشبح يتسلل لها كلما اختلت بنفسها. تفكير فيه ... فجأة وهي بين اليقظة والنمام أحست بشيء ما. ربما خطوات، داهمها خوف، وكأنها مراقبة. من يراقبها؟ لم تحس بنفسها. فجأة انتبهت على خيال يقف أمامها مدقعاً بها بيلاهة. تعتمد في مكانها تسحب شيلتها تغطي شعرها المكشوف. تنظر للعينين المحدقين فيها تراقبها باندهاش واستغراب..." (الغفلي ، 2009 ، الصفحتان 262-263)

جعل هذا المشهد "لطيفة" تعتقد أنها لاتزال تحلم، وأنها لم تستيقظ بعد و"محمد" كذلك، حيث قال لها: "آخر مكان كنت أتوقع أن أجده فيه هنا. ماذا تفعلين هنا؟ يا لها من صدف!! أليس كذلك؟ لكن بربك أخبريني من أنت وماذا تفعلين هنا؟ أي صدفة هذه التي ساقتكم إلى ولمرة الرابعة. هذه هي المرة الرابعة؟ التي ألتقي بك كالعادة، صدفة." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 264).

أحسّت "لطيفة" بالخجل، وأخذت ترتجف محاولة الهروب من المجلس باتجاه الحوش الواسع: "انسلت من تحت يديه وأزاحته من طريقها، وهي تحاول الخروج في تلك اللحظة جادت السماء بغيث منهنر، دموع ماسية أخذت بالتساقط عليها امتزجت معها بملابسها الحمراء، بدت كحورية، ملاك يقف أمامه، ليس هناك من مساحيق تسيح مع المطر. جمال رباني... أمسك يدها بقوّة، تشبت بها برجاء: قائلًا: تبدين كبنت المطر. يغالب ابتسامة على وجهه قائلاً: أنت بحق كبنت المطر التي تخرج من مخبئها فجأة. حتى وجهك أحمر كما هو حال ملابسك الحمراء. من أنت؟" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 265)

و"محمد" هو ابن أخ الشیخ "أبو محمد" وطليق "مریم" التي كانت سبباً في تعرفه على فتاة أحلامه بعد مشاجرتهما أمام المدرسة. وقد كانت "لطيفة" المرأة التي اقترحتها "أم محمد" وزوجها عليه منذ فترة، وأبدعاً في وصف خصالها وجمالها، هي نفسها فتاة الصدف التي أحبها "محمد" وهام بها دون أن يحدثها. وقد رفض طلبها وامتنع لانشغال قلبه بحب

قالت لطيفة بدهشة:

ماذا تعني ناسفة؟

قالت أم بلال:

هي مثل القبلة الناسفة، تنسف كل شيء: المال والأولاد والأهل والزوج. لا تترك شيئاً، ويجب التخلص منها."

(الغفلي ، 2009 ، صفحة 194)

قامت "أم بلال" بحرق الناسفة في ظهر لطيفة بالفحm لإزالة النحس. وهي أحد المعتقدات الشعبية في المجتمع الإماراتي ، وفعلاً بعد هذه الطقوس تغير حالها وانفرج إلى الأحسن لأنها قررت المواجهة لتغيير قدرها ، ليتحول الحال من الافتقاد إلى الاملاك.

1-الاملاك المادي

استطاعت البطلة "لطيفة" بمساعدة صديقتها "حمسة" العثور على منزل والدها، لكنها وجدته مؤجراً للهندور، فاتصلت بجارتها القدامى "أم راشد" ثم "أم حميد" ، لتعلم أن زوجة والدها "نورة" قد أصيبت بمرض خبيث بعد وفاة زوجها ، وأن والديها قد تركا لها ميراثاً ضخماً. لقرر ذرأ الخوف والذهاب لزيارة زوجة أبيها، فوجدها في حالة مزرية ، لا تقطع عن الصراخ بسبب الألم ، فسامحتها وعرضت على الممرضة مساعدتها بعد أن قدمت لها مالاً. بعدها اقتنت منزلها و سيارة من آخر طراز. وقررت أن تزور "أم محمد" لتوفيقها حقها من الهدايا ، لأنها كانت كريمة معها في محنتها.

تقاجأت جارات "أم محمد" بفخامة السيارة والهدايا ، وأصحابهن الفضول للتعرف على صاحب هذا العز والمال ، فصعقن عندما علمن أن كل هذا الجاه ملك للطيبة ، فحاولن التقرب منها ، لكنها رفضت استقبالهن بسبب الأذى الذي سببته لها ، واتجهت نحو غرفة استقبال الرجال في بيت "أم محمد" كونها كانت فارغة ، لتأخذ إغفاءة بعد غذاء دسم. ل تستلق على الكنبة وهي تحلم بفتى أحالمها.

2-الاملاك المعنوي

امتلكت "لطيفة" في رحلتها الشائكة، قلوب أنسابها كانوا ملاداً لها من قسوة الواقع ، وعدم إنصافه لها. كأم محمد وزوجها ، وكذلك "حمسة" ، إضافة إلى هذا كان حلماً جميلاً يواسيها ، ويدفعها للمواصلة عندما تفكير فيه قبل نومها ، أو لحظة عزلتها لتبتسم وتغفو. "ذلك أن التركيب الحلمي الفعلى

خاتمة

تعد رواية بنت المطر رواية إماراتية تقليدية في حبكتها وشخصياتها ، وتطور أحداثها. وقد تناشت شخصية البطلة مع القصة العالمية "سندرلا" ، التي عانت من ويلات زوجة الأب ، وانتهت بها المطاف زوجة للأمير.

حافظت الكاتبة "مريم الغفلي" في سردها على تقاليد المجتمع الإماراتي ، ولم تجرأ على خدش حياته ، فصورت "لطيفة" خاضعة مسلمة لواقعها الذي فرض عليها بزواجهما ، وبالمقابل خاضت في قلب التقليد حول علاقة الرجل بالمرأة ، وكانت البطلة تتبادل النظرات والإعجاب مع الشاب محمد رغم أنها متزوجة من الشيخ ، لتكون هذه العلاقة فيما بعد محورا هاما لإثارة الانقسام الدرامي في الرواية.

كانت شخصية البطلة شخصية واقعية ، سلبية نوعا ما ، ومسلوبة للإرادة ، شخصيتها خاضعة ومستسلمة لتقاليد المجتمع الإماراتي ، ومنفذة لأوامر من أطراف مختلفة . كما كانت مؤمنة بقضاء الله وقدره ، حيث سلمت

أمرها بارئها في مواقف مختلفة من حياتها.

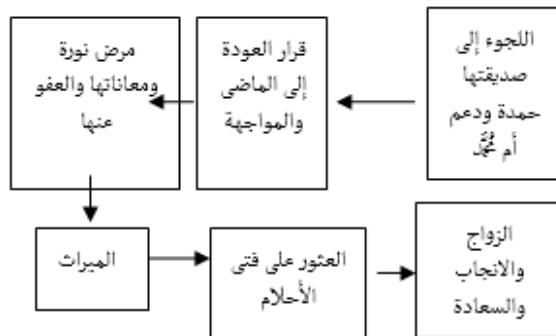
فلطيفة هي "نموذج للبطل الدرامي المحطم الذي تهزمه تقاليد الأسرة وقيمها ، وقوانينها ليس لضعفه أو انقياده لها ، وإنما لتطلعه الشديد للفردية لدرجة يصبح فيها هذا التطلع أرضا خصبة لجميع التقليبات الرومانسية التي يخوضها البطل" (غلوم ، 1986 ، الصفحات 133-134)، تكون البطلة تجسيدا لهاجس مأساوي تستدعيه المشاعر الإنسانية ، وهو زواجها بشيخ مريض ، كان هو العائق الحالى أمام سعادتها ، وبالرغم من هذا كانت تشفق وتعطف عليه ، فأظهرت استعدادها الوعي بأن تكون ضحية. ليصبح موت الشيخ ضرورة من أجل التغيير في البناء السردي للرواية ، ليكون موت الشيخ ميلاد جديد للطيفة.

توقعـت خالـل تـبعـي لـسرـد أحـدـاث الـروـاـيـة وـتطـورـه ؛ أنـ البـطـلـة سـتـحدـثـ الفـارـقـ وـالتـغـيـرـ لـوـاقـعـها بـشـهـادـتهاـ الـعـلـمـيـةـ ، لـكـنـ لـلـأـسـفـ لـاحـظـنـاـ أـنـ الدـرـاسـةـ كـانـتـ سـبـبـاـ وـحـجـةـ فـقـطـ لـخـرـجـ لـطـيفـةـ مـنـ الـمنـزـلـ ، وـبـالـتـالـيـ لـقـاءـ فـارـسـ أـحـلـامـهـاـ. وـكـانـ المـيرـاثـ هـوـ الـمـنـرـجـ الـحـاسـمـ فـيـ حـيـةـ "ـلـطـيفـةـ". وـهـوـ رـيحـ لـيـسـ لـلـطـيفـةـ دـخـلـ فـيـ تـحـصـيـلـهـ. لـتـخـتـمـ الـرـوـاـيـةـ بـالـزـوـاجـ وـهـوـ نـفـسـ الـمـشـهـدـ الـذـيـ اـفـتـحـتـ بـهـ ، لـكـنـ الـفـرقـ أـنـ الـزـوـاجـ الـأـولـ كـانـ

فتاة أحالمه ، فقد كان خائفا أن يدخل في علاقة فاشلة كرواجه الأول من ابنة خالته "ميريم" الذي انتهى بالطلاق. ونظرا لشفقتها على شخص "لطيفة" فقد اقترح على "أم محمد" مساعدتها ، وبعد إلحاح منها قبل عن مضض ، بعد أن يأس من لقاء بنت المطر يقول: "فتاة الصدف سأتركها جانبًا لأنني لا أستطيع رفض طلب لك ولعمي" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 257)

ليكتشف أن لطيفة هي فتاة أحالمه التي عشقها روحه ، وتيمه حبها دون أن يكلمها "فالمرأة الجميلة التي يمكن أن تجذب الرجل العربي وتثيره هي امرأة صامتة" (المرنيسي ، 1985 ، صفحة 87). وقد كان لجمال لطيفة وجاذبيتها سحر أسر "محمد" وسلب لته ليتم اللقاء والزواج وشم الإنجاب.

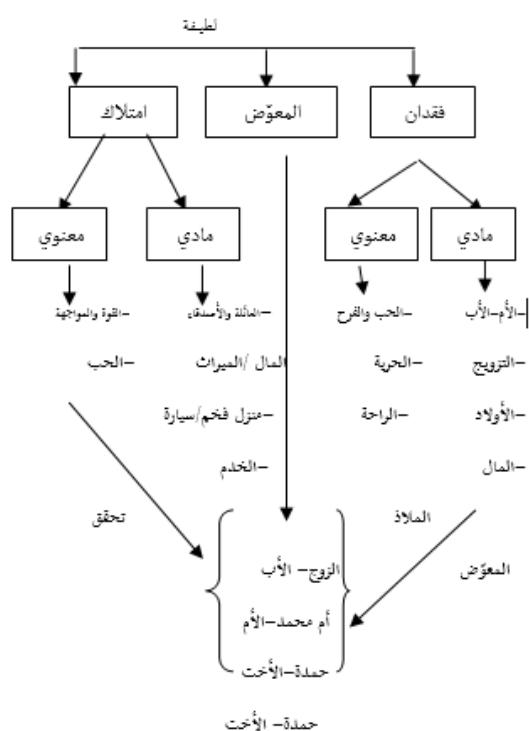
ليتحقق الامتلاك: امتلاك العائلة والأصدقاء، وامتلاك رجل الأحلام، وامتلاك الأطفال وبالتالي امتلاك السعادة الأبدية. التي يمكن توصيفها عبر هذا المخطط:



استطاعت البطلة "لطيفة" أن تغير سوء طالعها، ليتحول مسار حياتها من مستوى الافتقاد إلى مستوى الامتلاك ، و"إننا نعرف الآن أن الوعي هو وعي بشيء ما ، وأن الإنسان ... يتعدد بعلاقاته ، وبطريقه في إدراك العالم ، وإدراك نفسه إزاء العالم ، وأسلوب العلاقة التي توحده بالأشياء ، وبغيره من الناس وبين نفسه" (Richard ، 1955 ، صفحة 9) ، وبعد قرارها بمواجهة ماضيها والتخلص من أهلها استطاعت أن تحقق ذاتها ، فعثرت على زوجة والدها "نوره" سبب أمها وشقيتها مريضة ذليلة ، لتدرك أن الزمن كفيل بتصفية الحسابات وتضميد الجراح ، لتمنحها عفوها وتمضي في إعادة بناء حياتها من جديد بكل حب وتفاؤل.

- سلطة المرأة على الرجل من خلال نموذجي "نوره" و"شيخة" زوجة عبد الله، فقد كانتا المسيطرتين والمحركتين للأحداث بقراراتهما.
 - تشجيع تعليم المرأة، وإن كانت متزوجة كما في نموذج "لطيفة ومريم وزميلاتها في الصف"
 - نظرة المجتمع السلبية للمرأة المتعلمة كما في نموذج "حمسة"
 - المرأة المتعلمة والمثقفة ذات شخصية قوية، محافظة تقول حمسة: "نشأت مدللة في عائلة مفتوحة
 - نوعاً ما على التعليم والحرية للفتاة. ذهبت إلى مصر للدراسة وعدت منها أكثر نضجاً ووعياً، لكنني كنت ملتزمة طوال حياتي في الغربة. كنت قد وضعت لنفسي خطوطاً حمراء لا يمكن أن أتجاوزها. كان همي إنتهاء دراستي فقط" (الغيلي، 2009، صفحة 124)
 - انتشار ظاهرة الطلاق لأسباب مختلفة كنمواذج "حمسة" و"مريم"
 - العقم وعدم الإنجاب وصبر الزوجين ومواصلتهما للحياة معاً كنمواذج أم محمد وزوجها

كل هذه النقاط هي امتلاك وافتقاد ، جسدها الروائية
الإماراتية "مريم الغفلي" في روايتها "بنت المطر" عبر شخصية
البطلة "لطيفة" وشخصيات أنثوية بعضها ملتزم وبعضها الآخر
نموذج سيء. إضافة إلى شخصيات ذكرية أغلبها كان خاضعا
تابعًا للمرأة المتسلطة مطيناً لها. وشخصيات برغم اختلاف
أدوارها والقيم التي دافعت عنها، كانت مسبباً لحصول
الافتقاد، وكذلك تتحقق الامتلاك في شقيه الإيجابي والسلبي.



مستوى الافتقاد والامتلاك في رواية بنت المطر

عبرت لطيفة أمكنته متعددة من دبي إلى أبوظبي إلى إنجلترا، لتعود في نهاية المطاف إلى مسقط رأسها إلى بيت والدها، لتبدأ حياتها من جديد، وكأنها طائر العنقاء بعثت من حديد من رحم المعاناة والماد.

ونستنتج أن رواية "بنت المطر" للروائية "مريم الغفلي" قد قدمت صورة نمطية عن المرأة في المجتمع الخليجي وهي:

- المجتمع الإماراتي مجتمع محافظ متشتت بالقيم الروحية وتعاليم الدين الإسلامي
 - الزواج المبكر والإكراه عليه ، وعدم مشاورة الفتاة.
 - الجهل والفساد من خلال أخلاق "نوره وشيخة والجارات"
 - انتشار طقوس السحر والتطير كما عند "شيخة أم بلال".

الهؤامش

- البستانى ، بشرى. (2002) ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، دار الكتاب العربي ، ط1، بيروت لبنان
- بوروابو، عبد الحميد. (1995) "تحليل خطاب الحكاية الشعبية مقاربة منهجية" ، أعمال ملتقى السيميائية والنص الأدبي ، جامعة باجي مختار عنابة ، الجزائر
- بن مسعود ، رشيدة. (2006) ، زمن الخيبة والحلم في عام الفيل ، ملتقى الكتابة النسائية التخييل والتلقى ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ط 1، الرباط ، المغرب.
- البيبل ، فارس. (2016) ، الرواية الخليجية قراءة في الأساق الثقافية ، شركة دار الأكاديميون ، ط1، عمان ،الأردن
- سييلا ، محمد. بن عبد العالى ، عبد السلام. (2009) ، الحداثة الفلسفية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1 بيروت ، لبنان
- عصار ، خير الله. (2008) ، مقدمة لعلم النفس الأدبي ، منشورات بونة ، ط1 ، عنابة ، الجزائر
- عبيد ، يمنى. (2011) ، الرواية العربية ، المتخيل وبنائه الفني ، دار الفارابي ، بيروت
- الغمامي ، عبد الله. (1996) ، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، المغرب
- الغفلي ، مريم. (2009) ، بنت المطر ، دار الحوار ، ط1 ، سوريا
- غلوم ، ابراهيم عبد الله. 1986. المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت
- المرنيسي ، فاطمة ، فاطمة ، (1985) ، "واقع المرأة العربية" ، مجلة الوحدة ، ع 9 ، جوان .
- Bachelard, Gaston. (1991), L'eau et les rêves, essai sur l'imagination de la matière, José corti
- Biguin, Albert. (1967), L'âme romantique et le rêve, essai sur le romantique Allemand et la poésie Française, José corti, Paris
- Marks, Karl. (1929), Notes sur communisme et la propriété privée, in la revue Marxiste 1
- Richard, Jean Pierre. (1955), Poésie et profondeur, éd du Seuil, Paris.